العنـف ضـد المرأة في المغـرب الإسـلامي(1-5هـ)
– دراسـة في الأسبـاب والمظاهـر-

Violence against women in the Islamic Maghreb (1-5 H)
-A study in causes and manifestations-

ميلودة كينة *
جامعة حمه لخضر-الوادي- الجزائر
m754362@gmail.com
البشير غانية
جامعة حمه لخضر-الوادي- الجزائر
ghania-bachir80@yahoo.fr

تاريخ الارسال: 2020/11/08 تاريخ القبول : 2020/12/05 تاريخ النشر: 2020/12/31

ملخص لم يشكل العنف ضد المرأة مشكلة، إذا ما استدعينا السياق التاريخي، لأن المجتمعات على وجه العموم كانت تتعامل مع المرأة بوصفها من ممتلكات الرجال، بل إن هذه المجتمعات شرعت العنف الأسري وباركته بصورة أو بأخرى ، خصصنا الدراسة العنـف ضـد المرأة في المغـرب الإسـلامي(1-5هـ)- دراسـة في الأسبـاب والمظاهـر-؛ والهدف من الدراسة تسليط الضوء على جانب من جوانب معانات المرأة في المغرب الإسلامي وهو العنف بشتى أنواعه، وخرجنا بعدة نتائج أهمها: أن المرأة ضحية النوع وكذلك ضحية ثقافة المجتمع ، أما عن المظاهر فهناك حالات عنف خاصة ومميزة للمرحلة كظاهرة السبي النساء في المغرب تابع مرحلة الفتح وعصر الولاة وكانت أحد المحركات

* المؤلف المراسل

الثورة البربرية ؛ وهناك حالات عنف عامة تعاني منها المرأة بالاختلاف الإطار الزماني والمكاني كالعنف الأسري المسلط ضد المرأة سواء من قبل الأب أو الزوج، و الانتحار فهو وكنوع من أنواع العنف ذاتي ضد النفس.

الكلمات المفتاحية: العنف / المرأة / السبي / الاغتصاب / الانتحار.

Abstract: Violence against women did not constitute a problem, if we recall the historical context, because societies in general used to deal with women as the property of men. Rather, these societies legalized and blessed domestic violence in one way or another. We devoted the study to violence against women in the Islamic Maghreb (1- 5 e) - a study of causes and manifestations -; The aim of the study is to shed light on one of the aspects of women's suffering in the Islamic Maghreb, which is violence of all kinds, and we came up with several results, the most important of which are: that the woman is the victim of gender as well as the victim of the culture of society. As for the appearances, there are special and distinct cases of violence for the stage, such as the phenomenon of captivity. Women in Morocco continued the phase of conquest and the era The governors were one of the engines of the barbarian revolution; There are general cases of violence that women suffer from in different temporal and spatial settings, such as domestic violence against women, whether by the father or husband, and suicide, as it is a type of self-violence.

key words: Violence / women / captivity / rape / suicide.

* المؤلف المراسل. ميلودة كينة m754362@gmail.com

مقدّمة: لا تزال الدراسات حول المرأة في حقل الدراسات التاريخية حديثة العهد؛ وتصبح الحقيقة صارخة عندما يتعلق الأمر في العصر الوسيط والذي زال تاريخا مجهولا وقطاعا منسيا وهو نتيجة حتمية لتغيب تلك الحالة الاجتماعية من قبل المؤرخين القدمى والذين أدرجوا المرأة بشكل عام ضمن المسائل العائلية التي تقع خارج دائرة اهتمام المؤرخ، فأسدلوا عليها ستار من الصمت والتهميش واعتبروا الكتابة فيها نوعا من المحرمات التي

لا يجوز الاقتراب منها. ومن هنا نطرح الإشكالية العامة: ما طبيعة العنف الذي مورس ضد المرأة في المغرب الإسلامي(1-5هـ)؟ وتندرج تحته عدة إشكاليات فرعية:

- ما هي ماهية العنف؟
- كيف كانت صورة المرأة في المغرب الإسلامي في الفترة المدروسة؟
- ما هي أسباب ومحركات العنف ضد المرأة المغربية؟
- ما هي أم مظاهر وحالات العنف ضد المرأة المغربية في الفترة المدروسة؟

ماهية العنف:

جاء في لسان العرب أن العنف من عنف: العُنْف: الخرق بالأمر وقلّة الرّفق به، وهو ضد الرفق، وهو عنيف إذا لم يكن رفيقاً في أمره. واعتنف الأمر: أخذه بعُنف. وفي الحديث: إن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف؛ وكلُّ ما في الرفق من الخير ففي العنف من الشرّ مثله[1]، وجاء في نفس المصدر أن التعنيف: التعبير واللّوم. وفي الحديث: إذا زنت أمة أحدكم فليجلدها ولا يُعنفها؛ التعنيف: التوبيخ والتقريع واللّوم؛ يقال: أعنفنه وعنفته، معناه أي لا يجمع عليها بين الحدّ والتوبيخ؛ وهناك العنفوان بمعنى الشباب والقوة[2].

أما في المعجم الوسيط فنقول: (عنف) به، وعليه- عُنفاً، وعنافةً: أخذه بشدة وقسوة، ولامه وعيره. فهو عنيف.(ج) عُنف.(أعنفه)عنف به ، وعليه.(عنّفه): أعنفهُ. (اعتنف) الأمر: أخذه بعنف. و- أتاه ولم يكن له علمُ به. و- انشئ: كرهة. يقال: اعتنف الطعام.و- فلان المجلس: تحول عنه[3].

ويذهب الرازي إلى إن اللجوء إلى العنف يكون عادلا بصفة عامة حين يكون المرء أو الجماعة مهددة بخطر ويرى ابن سينا بدوره إن للعنف معنى ايجابيا حين يستعمله الحاكم للحد من انتشار الفساد في الرعية[4]

أما في اللغة الإنجليزية والفرنسية فهي مشتقة من اللفظة اللاتينية Violence هو Violentai [5] التي تدل على الاستخدام غير شرعي للقوة فالعنف استخدام للقوة دون سند شرعي ورفض للقانون والعدالة والخضوع لأي سلطة. فهو خاصية الشخص الذي يقهر، أو لا يمكن ترويضه[6]، ويتضمن كذلك معاني العقاب والاغتصاب والتدخل في حريات الآخرين[7]

بالرجوع إلى التراث العلمي نجد أنّ مفهوم العنف شغل حيزا هاما ولا سيما في علم النفس وعلم الاجتماع والقانون والسياسة؛ فتعددت بذلك التصورات النظرية حول العنف بتعدد مجالات الدراسة والبحث. ويمكن تناول مفهوم العنف من منطلقات مختلفة سواء من حيث السياق اللغوي أو من حيث مدى الشرعية الدينية والقانونية، أو من حيث آثاره النفسية واللفظية والمادية[8]، يقول" كارل ماركس" إنّ العنف مولده التاريخ، ولعل هذه أفضل عبارة تدل على أنّ العنف قديم قدم الوجود نفسه، بل إنّ تاريخ شعوب العالم كله تحكي قصص الصراع بين العنف من جانب وبين كل المحاولات الإنسانية سياسيًا واجتماعياً التي كانت من أجل تحجيم العنف[9]، العنف هو أي فعل لفظي أو بدني موجه إلى شخص، ويتسبب عنه أذى جسدي أو نفسي أو حرمان. ويكون الغرض منه تحطيم المكانة الاجتماعية للشخص[10] . فالعنف فعل مضاد، موجه نحو شخص أو شيء ما، ينطوي على رغبة في التفوق على الآخرين. ويظهر إما في الإيذاء أو الاستخفاف أو السخرية[11] . وعليه، فالعنف سلوك يعبر عنه بأي ردة فعل تهدف إلى إيقاع الأذى بالذات أو بالطرف الآخر، وتخريب ممتلكاته أو ممتلكات غيره [12]. وهو

ظاهرة حركية لها جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية، تعرفها كل المجتمعات البشرية بدرجات متفاوتة[13].

نحن أمام عدة تعريفات تختلف بحسب اختلاف استخداماتها ومقارباتها المؤطرة. وهو ما يجعلنا نقول ، اننا أمام عدة مقاربات للعنف ولسنا أمام مقاربة واحد[14]، لكن ما يمكن قوله أن العنف مشكلة خطيرة؛ وهي نتيجة طبيعية لما وصلت إليه المجتمعات الإنسانية من مستوى اجتماعي وأخلاقي وثقافي لا يعبر عن إنسانية الإنسان ورقية المعرفي فساءت بذلك العلاقات في جميع المؤسسات الاجتماعية[15].

أما العنف ضد المرأة المقصود به هو أحد الآليات الاجتماعية الحاسمة التي تضع المرأة قسرا في درجة أدنى من الرجل" ؛ كما أنه يوسع تعريف العنف ليمل على العنف النفسي فلا عن البدني؛ كما أنه يتمن الأفعال العلنية والخاصة، وهناك ثلاث مجالات للعنف ضد المرأة: الأسرة، والمجتمع العام، أو عنف تمارسه الدول أو تتستر عليه على أقل تقدير[16].

1-مكانة المرأة المغربية في العصر الوسيط(1-5هـ):

إذا تحدثنا عن الصّورة المرأة المغربية؛ تنقسم إلى مجموعة أنماط ففيها السطحي والعميق والمفرد والمركّب والجامد والمتحرك والواقعي والمتخيّل والصادق والكاذب والطبيعي والمزّوق والمقدّس والمدّنس، لكن التركيز على بُعد واحد في تركيبة هذه الصورة بقدر ما يتنزّل في سياق تفكيكها وتحديد مكوّناتها قبل تجميعها لاحقة فإنّه يمنح إطلالة خفيّة على محور الحركة في صورة المرأة[17].

قال الله تعالى:" يا أيّها النّاس اتّقوا ربّكم الذي خلقكم مّن نّفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا"[18]، كما قال تعالى:" يا أيُّها النّاس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم

شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم"[19]، الآيات القرآنية تدل على الإسلام كرم المرأة و ردّ لها حقّها المسلوب في الحياة وقرّر لها حقوقا لم تكن تعفها من قبل فجعل لها حقّا مشروعا في الميراث وحقّق لها الاستقلال الاقتصادي فيما تملك من غير أن يكون لزوج دخل في ذلك وجعل للزواج أحكاما ووضع للطلاق وتعدّد الزّوجات قيودا وقرّر للزّوجين من الحقوق والواجبات المتبادلة ما به تحسن المعاشرة وتقوى الرابطة وتطيب الحياة" [20].

هناك رؤى كثيرة وكتابات عدة، تؤكّد أن الإسلام يوصي بالنساء خيراً، ويصوّرهن مجازاً بالقوارير الرقيقة، داعيًا إلى الترفُّق بهن[21] وانطلاقا من اهتمام الإسلام بحياة الأسرة – باعتبارها الركيزة الاجتماعية الأساسية للفرد– تعالت أصوات الفقهاء المغاربة خلال الفترة المدروسة حفظً بحقوق الزوجة أوجبوا الزوج الاتفاق على الزوجة وكسوتها وحسن معاشرتها[22]، بلغت المرأة في المغرب مكانة مرموقة في المجتمع، وهي تقوم بدور فاعل ورئيسي إلى جانب الرجل في مختلف مجالات العمل من خلال إسهامها الايجابي في التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي أحرزت على أرض الواقع منذ تأسيس الإمارات المستقلة بالمغرب الإسلامي[23]. نرى أن حقوق المرأة حفظت في المجتمع المغربي، ولم تكن وسيلة لإشباع الغرائز متى شاء الرجل ذلك ولو خلف ستار" الزواج"... وأهل المغرب أكثر حفاظا وأشد توقيا في أمور الدين، فالفرح لا يعني التبرج والمكاشفة والسفور واختلاط الرجال والنساء، بل يحرصون على ستر نسائهن دون التضييق عليهن" وترقص النساء بمعزل عن الرجال، ولهن حفلاتهمن الراقصة ومغنياتهن وعازفاتهن"[24]

إن درجة التزام أفراد المجتمع بالمغرب العربي في العصر الوسيط بقيم الإسلام لم تكن نمطية، بل دللت النوازل هنا وهناك، بأن الانحراف عن قيم الإسلام وأحكامه شمل لعض الأفراد والممارسات، لكن الواقع يؤكد أن تلك الانحرافات لم تكن طابعا غالبا، وإنما

مست أفرادا، ولم يكن بإمكانها أن تشكل تيارا بارزا، سنحاول إثارة هذه الإشكالية في المحور التالي من خلال دراسة الأسباب والمحركات.

2- أسباب ومحركات

3- العنف ضد المرأة في المغرب الإسلامي:

نحاول تقسيم أسباب ومحركات العنف ضد المرأة في المغرب الإسلامي إلى قسمين رئيسين: الأول أن المرأة ضحية النوع ، والثاني أنها ضحية الثقافة

أ- المرأة ضحية النوع:

لم يشكل العنف ضد المرأة مشكلة، إذا ما استدعينا السياق التاريخي، لأن المجتمعات على وجه العموم كانت تتعامل مع المرأة بوصفها من ممتلكات الرجال، بل إن هذه المجتمعات شرعت بصورة أو بأخرى العنف الأسري وباركته. العنف ضد المرأة متأصل في صميم ثقافاتها ومن حيث الممارسة غالبا ما يقع تحت ستار الممارسات الثقافية والعادات والتقاليد والتفسير الخاطئ للدين خصوصا إذا كان ضمن حدود الأسرة فإن القانون والجهات الرسمية عادة ما تفضل التغاضي والسكوت عليه بحجة السلم الاجتماعي على سبيل المثال[25].

ترى المقاربة الاجتماعية النسوية لظاهرة العنف أن سبب الظاهرة يكمن في الموافقة الضمنية التي يمنحها المجتمع للرجل الممارس للعنف، فالرجل الذي يهين زوجته إنما يمارس وصفه ثقافة معززة في المجتمع: العدوانية والهيمنة الذكورية والدونية الأنثوية، وهو يوظف القوة لتعزيز هذه الهيمنة[26]، كانت سيمون دي بوفوار[27] ترى أن الأنثى إلى حد كبير من الرجل هي ضحية النوع ؛ ونلاحظها في دراستها أنها ناقمة عن المجتمع والرجل لدرجة التطرف عن المكانة والدونية التي حضيت بها المرأة؛ وتقول في هذا :" ما هي المرأة؟ هذا

شيئ بسيط، إنها رحمٌ ومبيض، فإنها أنثى وهذه الكلمة تكفي لتعريفها، ويلوك الرجل كلمة" أنثى" كما لو كانت إهانة،....على العكس فخوراً إذا قيل عنه:" إنه ذكر"...."[28]

ب- ومن أسباب ومسببات العنف ضد المرأة المشكلات الجنسية، ولم ينحصر المشكل الجنسي في مسألة المتعة والإشباع، وإنما شمل أيضا غياب التوافق الجنسي بين الزوجين؛ ممثلا في عدم **التفات** الزوج إلى رغبات زوجته الشخصية والنفسية والعاطفية، مما تسبب في تحويل تلك الممارسة لدى الزوجة إلى فعل مشوب بالألم وشكل من أشكال العنف والغصب، لاسيما مع الزواج المبكر الذي تفتقد فيه الزوجة الاستعداد المعرفي. فحسب نوازل الفترة أرغمت أحدى البنات على الزواج وهي ابنة ثمان سنين فلما دخل الزوج" جفا عليها بالغصب، فخيف عليها من خسارة عقلها ونفسها ...فحُكم عليه بالخلع"، كما تزوجت أخرى وهي صغيرة" وبعد دخولها بشهر نفرت وزعمت أنها غير بالغ"، كما فقدت أخرى حياتها لأنها تزوجت دون سن البلوغ، فلما وطئها الزوج ماتت من وطئه"[29].

كما لا شكّ في أن عادة التحرّش بالمرأة هي عادة لم يخل منها تاريخ أيّ أمّة، خاصّة إذا كان المرء في طور البلوغ أو يعيش انحرافات نفسية أو جنسية أو إذا ضاقت به اليد عن الزواج. وقد يبلغ الاستهتار ببعض الشباب الذين بهم ميل جنوني إلى حدّ ارتكاب جرائم في حقّ المرأة مثل الاغتصاب والمعاكسة والتحرّش واقتحام حمّامات النساء [30] وابتكار الحيل التي لا تخطر على بال؛ الاندساس في صفوف النساء والاحتكاك بهنّ على غرار ما قام به ابن غلبون الذي كان مشهرا بين صغار الأمراء الأغالبة باللهو والخلاعة والمجون، وقد بلغ به الاستهتار أنه كان يتنكر فيتزي بلباس النساء ويندس بيهن، فيشاهد الأعراس والمآتم كسائر النساء، فحضر يوما عرس بعض الأمراء على الهيئة المشار إليها، وبعد حين جلوسه ضاعت دُرة نفيسة لبعض أهل الدار، فأمروا بغلق الأبواب وأخذوا

بفتشون النساء الحاضرات الواحدة بعد الأخرى ، فكل امرأة لا يجدوا عندها شيئا أخرجوها، حكي ابن غلبون عن نفسه، وقال: تمادوا في التفتيش حتى لم يبق إلاّ أنا وامرأة واحدة فصارت ترادفني وتريد أن تكون ورائي، وأنا ادفعها إليهم إلى أن أخذوها فوجدوا الدّرّة عندها، فقالوا لي: انصرفي يا هذا المرأة. فما كنت أصدّق بنجاتي حتى وصلت إلى بيتي، فأزلتُ عني الخُفّ والمعجزة والرداء التي كانت عليّ من زيّ النساء، ومن ذلك الحين عقدت النّية على التوبة، وأنبت إلى الله"[31].

ت- المرأة ضحية الثقافة(ثقافة المجتمع والمحيط):

يذهب البحث أن الفارق بين الرجل والمرأة هو فارق أدلوجي وثقافي وتاريخي قبل أن يكون فارق بيولوجيا، وان كان هذا لا يمنع أن يكون الفارق البيولوجي رافدا أساسيا في تدعيم هذه الأدلوجة، فالطبيعة البيولوجية والفيزيولوجية للأنثى والتي كانت وراء تخصيصها الوظفي؛ رعاية الأولاد والقيام بالأعمال المنزلية-ستروس يرى أنه حتى المهارات المنزلية هي مهارات ثقافية من ابتكار الرجال خاصة إذا ما تذكرنا أن أفضل الطهاة في العالم هم من الرجال - دعمت التصورات الأسطورية التي تحولت إلى أدلوجة وكرستها مع الزمن.

ترى شيري أوتنر خبيرة الإناسة فهي ترى أن المرأة أقرب إلى طبيعة منها إلى الثقافة، وهذا القرب من الطبيعة يعبر عن نفسه من خلال ثلاث مستويات:

أولا: إن أدوار المرأة الاجتماعية التقليدية التي يفرض عليها جسدها ووظائفه تعطيها بدورها تركيبا نفسيا مختلفا يعتبر مماثلا لطبيعتها الفيزيولوجية وأدوارها الاجتماعية في قربه من الطبيعة[32].

شكلت الأزمات الاقتصادية والاجتماعية وكذا السياسة التي تعرض لها المغرب الاسلامي(1-5هـ) منطلقا حقيقيا لتحولات عميقة أرخت بظلالها السلبية على حياة

المرأة، كذلك الفقر كما جاء في صورة الأرض لحسن وزان:" وبالتالي فإن البؤس الذي يفتك بضعفاء في تونس يؤدي بكثير من النساء إلى الاتجار بمفاتهمن بأبخس الأثمان، ويدفع بالغلمان إلى التعر للرجال، وهم أدنى دناءة و وحاقة ورذالة من العاهرات" [33].

وكان للخلاف المذهبي من أسباب العنف ضد المرأة سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، لا سيما في زمن سيطرت فيه ظاهرة تكفير المخالفين وتحريم الزواج منهم، وفسخ ما تم من أنكحة[34]، فقد سئل اللخمة عن سنية تزوجت خارجيا جهلا بمذهبه ولم يرجع، فجاءت الفتوى التفريق بينهما كي لا يفتنها في دينه، وتفاديا للخلافات الزوجية الناتجة عن بينهما كي لا يفتنها عن دينها، وتفاديا للخلافات الزوجية الناتجة عن اختلاف المذهب[35].

وقد ارتكن بعض الأزواج إلى ما منحته لهم الشريعة الإسلامية من حق في تقويم الزوجات عن طريق الضرب وبالغوا في استعماله مستغلين فتاوى التي كرست هذا الواقع وسريته إلى صفوف المجتمع، والتي ذهبت إلى ارتكن بعض الأزواج إلى ما منحته لهم الشريعة الإسلامية من حق في تقويم الزوجات عن طريق الضرب، وبالغوا في استعماله مستغلين فتاوى الفقهاء التي كرست هذا الواقع وسريته إلى صفوف المجتمع، والتي ذهبت إلى أن" تدمية المرأة على زوجها آيلة إلى الضعف ولا يقام عليه القود لجواز ضربه لها ...وقد يأتي من الضرب ما يتصل بالموت فتسقط تدميتها " وعليه ترد إشارات عمن "حلف بطلاق زوجته ليضربنها خمسين سوطاً، عمن أتت للقاضي وبها أثر الضرب ...تدعي ضرب زوجها لها" وعمن تركت بيت زوجها وامتنعت من الرجوع" لكثرة ما ادعت عليه من الضرب" وعمن أغضبته زوجته" فأراد ضربها على ذلك بعمود"، وعمن كان دأبه إذاية زوجته" بالضرب والسب"، وعمن أفضى به خلاف مع زوجته أن " رمى بيده في رأسها وصار يجرها ويضربها" وأمعن آخرون في إلحاق الإيذاء الجسدي بزوجاتهم من خلال تشويه بعض الأعضاء وإصابتهن بعاهات مستديمة، حيث وردت بالمصادر

وإشارات عمن" قفأ عين امرأته"، وعمن شهدت وهي في الفراش" تشكو ألام ست جراحات من جسدها أن زوجها جرحها ذلك على وجه الاعتداء والعمد الموجب للقود"، وهو ما دفع الكثير من النساء إلى تضمين عقود الزواج ألا يضر الزوج بزوجته في نفسها، وأن فعل فأمرها بيدها، كان واقع الإهانة والضرب المبرح والرغبة في الإفلات من عنف وراء نشوز بعض النساء وهروبهن من بيت الزوجية....[36].

وقد كرّست النصوص الفقهية والسجالية محيطا صارما من الحدود والصيغ لحركات المرأة وسكناتها، لأنّها الباب الذي يسهّل الخروج من المقدّس. وهذا الفعل الأخير مرفوض إطلاقا باعتبار أنّ الله تعالى أساس كلّ مقدّس، والقداسة تستمد معانيها من ذاته السامية. إذن فخروج المرأة من المقدّس خروج عن الله، من هنا كان علماء الإسلام على فرض إتباع المرأة لصيغ دينيّة تكون الضامن الأكبر لتدجين هذا الكائن المتمرّد" المرأة" وتطويق مساحة نجاسته، وإذا كانت المرأة في الواقع سجينة صرامة التأويل المتداول للنص الديني وما يحدّده لها من طقوس للتواصل مع أنماط القداسة الاعتبارية: لمس القرآن وارتياد الفضاءات الدينية" مساجد وزوايا" والانخراط في شعائر العبادة فإنّها كانت أكثر تحرّرا في النص التخييلي من شعر ومفاكهات وأدبيات "خلاصة فقه الجنس وأدب الخلاعة"[37].

4-مظاهر وصور العنف ضد المرأة في الغرب الإسلامي(1-5هـ):

هناك مظاهر عديدة للعنف ضد المرأة في المغرب الإسلامي سنحاول ذكر أمثلة على حساب الاستشهاد لا الحصر، هناك حالات عنف خاصة ومميزة للمرحلة كظاهرة السبي لنساء المغرب تابع مرحلة الفتح وعصر الولاة وكانت أحد المحركات الثورة البربرية ؛ وهناك حالات عنف عامة تعاني منها المرأة بالاختلاف الإطار الزماني والمكاني كالعنف الأسري المسلط ضد المرأة سواء من قبل الأب أو الزوج، كذلك الانتحار فهو عنف ذاتي ضد النفس.

أ- سبي النساء:

كثر عدد الجواري في العصر الأموي وأخذ يزداد حتى بلغن مئات الألوف. وكان لدى القواد والأمراء والعمال العشرات منهن ولا سيما بعد أن أخذ العرب بالانسياح غرباً نحو إفريقية والأندلس. فقد بلغت غنائم موسى بن نصير فاتح المغرب سنة(91هـ/709م) ثلاثمائة ألف رأس سبي،[38] بعث خمسها إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك، أي ستين ألفا وقيل إن موسى عندما جاء دمشق استقدم معه ثلاثين ألف عذراء من القوطية النبيلة[39].

ذكر ابن عبد الحكم غنائم حسان من بلاد المغرب: " حضرت السبي الذي كان عبد العزيز أخذه من حسان، مائتي جارية منها ما يقام بألف دينار"[40]. وبلغ سبي موسى بن نصير من الشهرة ما لم يبلغه آخر إذ لم يسمع قط بمثل سبايا موسى بن نصير في الإسلام"[41]،.ومن الأسباب التي كانت تدعو العرب إلى الفتوح والاندفاع وراء حدودهم أخذ السبايا والرجوع بهن إلى مقرهم، وليس في نيتهم الاستقرار حيث تدافعت جماعاتهم الزاحفة، ويلاقي هؤلاء الفاتحين سبياً عظيماً[42]

في بداية عملية الفتح للمغرب، كان من الطبيعي أن يكون هناك وفرة في السبي نظرا للخصوصية العسكرية لهذه المرحلة، وفي هذا الشأن يورد ابن عذاري نصا يتحدث عن السبي في عهد عبد الله بن ابي سرح والي مصر أيام الخليفة عثمان بن عفان-ض- فيقول يبعث المسلمين في جرائد الخيل، ويغيرون على أطراف إفريقية، فيصيبون كثيرا من الأنفس والأموال"[43] وقد انتصر ابن ابي سرح على جرجير صاحب سبيطلة فسبي النساء والأطفال ومنهم ابنة جرجير، فكان عدد السبي كبيرا مما لا يحيط به الوصف.

ولكن أحد المؤرخين المحدثين يشير إلى ظاهرة الافتعال المتعلقة بتسليم المغاربة نساءهم لتسديد الجزية المفروضة عليهم بأن الدولة الإسلامية(الشرقية) كانت تعتبر أهل المغرب "

فيئاً للمسلمين في العصر الأموي وزخرت أسواق الرقيق في الشرق بالإماء البربريات والرقيق المغربي وكانت التجارة بهم مربحة، ويعد عصر عمر بن عبد العزيز في بلاد المغرب بفترة التهدئة وكسب ثقة سكان البلاد وعودتهم إلى حضيرة الإسلام، فأرسل لهم من يعلمهم أمور دينهم ويفقههم ويبين لهم الحلال والحرام، إلى جانب ذلك فالخليفة عمر بن عبد العزيز قام بإلغاء ما كان متبعاً منذ أيام عمرو بن العاص الذي صالح على بيع أبنائهم في خراجهم، فلم يعد مستساغا إن تبيع لواته بعد أن أسلمت بناتها في جزيتها.[44]

يبدو أن الخوف من السبي ظل هاجسًا يقض مضاجع أهالي مدن بلاد المغرب وبواديه، وتقدم رواية الدرجيني عن الدمار الذي لحق المناطق التي كان الجند يكتسحونا، أنه نزل بساحل إفريقية قبل حصار القيروان" فأخذ أهل عسكره صبيتين جميلتين فجاءته أمهما شاكية، فقالت له: يا شيخ إن العزابة أخذوا ابنتين سبوهما وغصبوهما وهما حرتان، فلم يجبها غير أنه قال: وهل في إفريقية حرة؟ فخافت المرأة على نفسها، فهربت ونجت بنفسها"[45].

ما يمكن قوله في الأخير أن السبي يعتبر حالة غير طبيعية من ناحية، وحالة عرضية من ناحية ثانية، وقوله الخليفة عمر بن خطاب-ض- الهيرة ذات دلالة في هذا المجال:" متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا"[46] .

ب – العنف الأسري ضد المرأة في المغرب الإسلامي(1-5هـ):

تفيدنا نوازل بالعديد من المشكلات الأسرية التي تحدث في المجتمع المغربي، ومن أهم هذه المشكلات وأخطرها، هو العنف ضدّ المرأة، سواء كانت زوجة أو أختا أو ابنة، وقد تعددّت أشكال العنف ضدّ المرأة منه ما هو جسدي أو نفسي، فكانت النّساء يتعرضّن للضرب في إطار العائلة والإيذاء والإساءة في الحياة الزوجية وغيرها من الممارسات

التقليدية في أشكال العنف بما في ذلك التعرض للضرب على يد الزوج أو الوالدين أو الإخوة[47].

أشارت النوازل أن هناك من الآباء في المغرب من كان يمنع ابنته من الزواج من الشخص الذي تختاره وتعرض نازلة أن رجلا منع ابنته من الزواج فزوّجها عليه القاضي[48]. اشتهرت هذه النازلة عند فقهاء فاس وتعد من أغرب النوازل عند فقهاء فاس وتعد من أغرب النوازل التي تتطرق إلى تفاصيل الصّراع الذي حدث مع بنت وأبيها حول رغبة البنت في اختيار الزّوج الذي تريده، رفعت البنت أمرها إلى الأصبع الترجالي بأن أباها منعها من الزواج من الخاطب الذي تقدم لها ويدعى ابن الترجمان، فكان والدها يضّر بها ويتهمها بالزّنا وقد جلدها مكشوفة العورة من ظهر جمعة إلى قرب العشاء؛ وقد حلق شعرها وألبسها التليس وصار يبصق في وجهها، وصار يجوعها ويطعمها ما لا تعتاد ويتوعدها ويهددها بالقتل بقيت على هذه الحالة إلى أن وجدت فلتة ففرت بنفسها وأنه عضلها على[49] أكثر من أربعة من الخطاب، وأن ابن الترجمان خطبها ورضيت بالزّواج منه وهو كفء لها وأنّ والدها امتنع عن الموافقة على هذا الزواج[50].

وكان هذا الأب يتحدث مع كل من يلاقي من الناس بحديث أن البنت وأنها ولدت من زنا، ويجتمع إليه حين حديثه الناس بذلك فنفروا من خطبتها وقد ألبسها ثناء سوء عند الرجال من أهل البلد ونسائهم. وشهد على ذلك بعض العارفين بحاله أن نكاحها صلاح وسداد في حقها لإنقاذ من عذابه من كونها لا يؤمن عليها مزيد من الفساد، وهي راغبة في النكاح وطالبة له وشهدوا بكفاءة الخاطب في الحال والمال، فرأى القاضي أن نكاحها صلاحا وسداداً لها لما ثبت من الضرر والعضل الذي لحق بها وبعد أن ثبت ذلك من خلال شهادة الشهود، قيّد القاضي رسم استرعاه صرّح فيه بأسماء الشهود وأمهل الأب أجلا، وبعد أن أعذر الأب في حل الرّسم المذكور وعجز عن ذلك، ثم عقد زواج البنت من طرف القاضي دون موافقة والدها[51].

أما عن العنف من قبل الزوج فهناك حالات والنوازل مختلفة كضرب الزوج لزوجته والمؤدّي في كثير من الأحيان إلى حدوث الطلاق والانفصال بين الزوجين نظرا لاستحالة استمرار العلاقة الأسرية بينهما. كان بعض رجال المغرب يقدمون على ضرب زوجاتهم حتى يصل بها الضرب إلى درجة كبيرة من الأذى وإن كانت أغلب النوازل التي بين أيدينا لم تشر إلى السبب وراء التكرار المستمر لمثل هذه الظاهرة ،فإن البعض منها يكتفي أثناء ذكر السؤال الموجه إلى المفتي، ببيان السبب وراء الضرب الواقع على المرأة وتكاد تتفق جميع هذه الأسئلة في إيضاح أن ذلك راجع إلى اختلافها مع زوجها ووقوع شجار بينهما[52]

من أنواع العنف كذلك الزواج المبكر الذي تفتقد فيه الزوجة الاستعداد المعرفي. فحسب نوازل الفترة أرغمت أحدى البنات على الزواج وهي ابنة ثمان سنين فلما دخل الزوج" جفا عليها بالغصب، فخيف عليها من خسارة عقلها ونفسها ...فحُكم عليه بالخلع"[53]،كما تزوجت أخرى وهي صغيرة" وبعد دخولها بشهر نفرت وزعمت أنها غير بالغ"[54] كما فقدت أخرى حياتها لأنها تزوجت دون سن البلوغ، فلما وطئها الزوج ماتت من وطئه"[55].

ج- ظاهرة الانتحار النساء في المغرب الإسلامي(1-5هـ):

لعل أول حالة انتحار[56] تسجلها المصادر في بلاد المغرب في بداية الحكم الإسلامي، ويتعلق الأمر بابنة جرجير أخر حكام إفريقية قبل الإسلامية، التي آلت إلى أحد الأنصار المشاركين في معركة سبيطلة SUFETULA حوالي سنة 28هـ/ 648م، الذي حملها على بعير له وأنشد:

يا ابنة جرجير تمشي عقبتك إن عليك بالحجاز ربتك لتحملن من قباء قربتك

تضيف الرواية أنها علقت على هذا الكلام العربي الذي لا تفهمه، بقولها:" ما يقول هذا الكلب؟ فأخبرت بذلك فألقت نفسها عن البعير، الذي كانت عليه فاندفنت عنقها فماتت"[57]، لكن انتهى البحث في قضية انتحار، إلى الشك في وجودها أصلا من قبل الباحثين، لكن ما يهمنا منها هو نص الرواية، ما دمنا لا نملك سبيلا إلى نفيها أو تأكيدها فكما أن لفتح الأندلس قصة ابنة يوليان. فما المانع أن يكون لفتح افريقية قصة ابنة جرجير[58]. العمل عند المرأة من الجهاد، فهو جهاد النفس وجهاد الظروف الاقتصادية والاجتماعية السيئة، فهو يعينها وينأى بها عن الاحتياج والعوز ويقضي على فراغها التي يمكن أن يوقعها في الزلات، لذا فدوافع العمل عند المرأة هي إثبات الذات.

وفي الأخير بعد دراسة العنف ضد المرأة في المغرب الإسلامي(1-5هـ)، نجد أن العنف ضد المرأة ليس وليد المرحلة بل أن المرأة كثيرا ما عانت من المجتمع الذكوري، العمل عند المرأة من الجهاد، فهو جهاد النفس وجهاد الظروف الاقتصادية والاجتماعية السيئة، فقد كانت ولازالت المرأة في رحلة إثبات الذات سواء في الأسرة أو المجتمع، وهذا ما عززه الإسلام وحفظ لها حقوقها.

قائمة المراجع:

[1] ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري، لسان العرب، مج9، دار صادر، بيروت،ص257.

[2] نفسه، ص258.

[3] معجم اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، مصر، 1425هـ/2004م، ص631.

[4] 34.محمد بهاوي العنف والعدالة ، ص16.

[5]Ontons C T:tIhe oxford dictionary of English ethymology, oxforcalarendon press,1996, p982.

[6] أحمد أوزي، سيكولوجية العنف عنف المؤسسة ومأسسسة العنف، منشورات مجلة دار علوم التربية، ط1، المملكة المغربية،2014، ص ص 10-11.

[7] وناسي سهام، العنف الأشكال والعوامل والنظريات المفسرة له، مجلة أفاق العلوم، العدد9- سبتمبر1017، جامعة الجلفة، ص249.

[8] يسلي نبيلة، العنف ضد المرأة بين واقع التربية والرجلة، ص50.

[9] نفسه، ص56.

[10] خالد بن سعود، العنف الأسري أسبابه وأثره وعلاجه، مدار الوطن لنشر ، الرياض، 1430. 2009، ص ص 8. 9.

[11] زكرياء الشربيني: المشكلات النفسية عند الأطفال، القاهرة: دار الفكر العربي، 2001، ص73.

[13] أحمد يحي خوله : الاضطرابات السلوكية والانفعالية، عمان: دار الفكر، 2000، ص185.

[14] محمد بهاوي،المرجع السابق ، ص 16.

[15] يسلي نبيلة، المرجع السابق، ص50.

[16] أماني أبو رحمة، العنف ضد المرأة من منظور نظرية علائق الموضوع، ص ص 1-2.

[17] الصحبي بن منصور، المرأة والعلاقات الزوجية بإفريقية في العصر الوسيط، مجمع الأطرش لنشر والتوزيع، ط1، تونس، 2018، ص30.

[18] سورة الأنعام/ الآية 1.

[19] سورة الحجرات/ الآية 13.

[20] الصحبي بن منصور، المرجع السابق، ص30.

[21] يوسف زيدان، اللاهوت العربي وأصول العُنف الديني، دار الشروق، ط2، مصر، 2011، ص.182

[22] خالد حسين محمود، الخلافات الزوجية بالمغرب الأدنى خلال العصرين الفاطمي والزيري(296-543هـ/909-1148م)،عصور جديدة، ع13، ربيع(أفريل)1435 -2014، ص97.

[23] نبيلة عبد الشكور، المرأة في الاسطغرافية الاباضية، مجلة التراث، العدد 12 فبراير2014، ص 95.

[24] الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي، تر: محمد حجي ، ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، لبنان، 1983، ص77-78.

[25] أماني أبو رحمة، المرجع السابق، ص1.

[26] أماني أبو رحمة، العنف ضد المرأة بين واقع التربية والرحلة، ص50.

[27] سيمون دي بوفوار: سيمون-إرنستين، لوسي ماري برتراند دي بوفوار، تدعى سيمون دي بوفوار (باريس، 9 كانون الثاني 1908 - 14 نيسان 1986) كاتبة ومفكرة فرنسية، وفيلسوفة وجودية، وناشطة سياسية، ونسوية إضافة إلى أنها منظرة اجتماعية.، للمزيد شاهد لماذا أنا نسوية؟ سيمون دي بوفوار 1975، مقابلة اجراها الصحفي جين لويس مع سيمون دي بوفوار عام 1975، قناة اليوتيوب https://www.youtube.com/watch?v=1nvc2IcsF2c، 28 سبتمبر،2020، 17:54

[28] سيمون دي بوفوار، الجنس الآخر، تر: ندى حداد، مراجعة وتدقيق: إيمان المغربي، دار الأهلية، المملكة الأردنية، 2008م، ص14.

[29] خالد حسين محمود، المرجع السابق، ص107.

[30] ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، تح: ج.س. كولان وإم ليقى بروفنسال، دار الثقافة، لبنان، ص211-212.

[31] الصحبي بن منصور،المرجع السابق، ص39.

[32] تركي علي الربيعو، العنف والمقدس والجنس في الميثولوجيا الإسلامية، المركز الثقافي العربي، ط2، 1995، الدار البيضاء، ص ص145-146

[33] الحسن الوزان، ج2، المصدر السابق، ص78.

[34] خالد حسين محمود، المرجع السابق، ص105.

[35] البرزلي، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتنين والحكام، تح: محمدالحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2002م، ج2، ص274. الونشريسي، ج3، المصدر السابق، ص300-301.

[36] خالد حسين محمود، المرجع السابق، ص113. [36] البرزلي، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتنين والحكام، تح: محمدالحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2002م، ج2،

[37] الصحبي بن منصور،المرجع السابق، ص32.

[38] السبي: هو أخذ الناس إماء وعبيد، وفي الاصطلاح متعلف بالنساء والأطفال المأسورين في حرب شرعية فيسترق أطفال المركون ونساؤهم بسهم لبيت المال، وأربعة أخماس للغانمين، للمزيد ينظر: واطيلة نجمة ونيس سعد، عمليات السبي في بلاد المغرب الإسلامي من الفتح حتى نهاية الدولة الأموية(21-132هـ/ 622-749م)، رسالة ماجستير،ليبيا، 2012، ص43

[39] واطيلة نجمة ونيس سعد، المرجع السابق، ص71.

[40] ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص65.

[41] ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص43.

[42] واطيلة نجمة ونيس سعد، المرجع السابق، ص67.

[43] ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص7

[44] واطيلة نجمة ونيس سعد، المرجع السابق، ص 86.

[45] أحمد بن سعيد الدرجيني، كتاب طبقات المشايخ بالمغرب، ج1، ص101.

[46] ابن قتيبة ينوري، الإمامة والسياسة، ج1، ص99.

[47] حسينة كريم، أوضاع المرأة الاجتماعية والاقتصادية بالمغرب الأسلامي من خلال نوازل" المعيار" للعلامة الونشريسي(ت914هـ/1508م)،رسالة الماجستيرفي التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر2، 1435-1436هـ/2014-2015م ص118.

[48] الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب، ج3 تح: مجموعة من الفقهاء بإراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981 ، ص59.

[49] حسينة كريم، المرجع السابق، ص66.

[50] الونشرسي، المعيار، ج3، المرجع السابق، ص 59.

[51] نفسه، ص60.

[52] نفسه، ج4، ص105.

[53] البرزلي،ج2،المصدر السابق، ص 272.

[54] البرزلي،ج2، المرجع السابق، ص197.

[55] إبن سحنون، كتاب الأجوبة، تح: حامد العلويني، دار سحنون للطباعة والنشر، تونس، 2000، ص342.

[56] الانتحار: قد ارتأينا استعماله نظرا لشيوعه، وإن كانت المصادر الإسلامية- المغربية تستعمل مصطلحات أخرى مثل قتل النفس للدلالة على الفعل الذبح والتردي والشنق والخنق والطعن وحز اليد والسم باعتبارها وسائل لفعل قتل النفس....، للمزيد ينظر: الانتحار في تاريخ المغرب الوسيط، ص18.

[57] ابن عبد الحكم، فتوح إفريقية والأندلس، تحقيق عبد الله أنيس، ص ص 38-39.

[58] بنمليح عبد الإله، الانتحار في تاريخ المغرب الوسيط، مجلة دفاتر تاريخية، ع1، 2010 ص22.